البيئة الطبيعية ومصادر الغذاء
في بلاد النوبة (٥٥٠ -١٣٠٠م)

محمد مهدي إدريس

تميزت بلاد النوبة في العصور الوسطى باتساعها الشاسع الذي تجاوز كثيراً المنطقة التي يغلب على سكانها الآن المجموعات العرقية التي تؤلِّف النوبيين، أي المنطقة التي تنحصر بين مدينتي الدبة ووادي حلفا في جمهورية السودان. فقد دأبت المصادر العربية في ذلك الوقت على إطلاق اسم بلاد النوبة على المنطقة التي تقع جنوبي أسوان، دون الاتفاق على حدود واضحة لها في الشرق والجنوب والغرب. وعلى الرغم من ذلك فقد حوت تلك المصنفات من الاشارات المتكررة ما يمكننا أن نستشف منه الامتداد الشاسع لبلاد النوبة في تلكم الاتجاهات، الأمر الذي يجعلنا نستنتج أن البلاد في ذلك الوقت كانت تشمل، فضلاً عن إقليم وادي النيل الأوسط – الذي يمتد تقريباً بين الخرطوم وجنوبي أسوان – مناطق من حوضي النيل الأزرق والأتبرا حتى أطراف الحبشة شرقاً، إلى جانب إقليم الجزيرة الذي ينحصر بين النيلين الأزرق والأبيض وإقليمي كردفان ودارفور غرباً، أي أن النوبة آنذاك كانت تشمل معظم المساحة التي يشغلها السودان الشمالي في الوقت الحاضر [مسعد، مصطفى محمد ١٩٧٢، ٣-٤ الهامش(٢)]، وسنتطرق لهذا الأمر لاحقاً في شيء من التفصيل عندما نناقش وضع البيئة في تلك الأقاليم.

شهدت هذه المنطقة قيام واحدة من أعظم ممالك أفريقيا جنوبي الصحراء إبان الفترة الممتدة بين القرنين الثالث قبل الميلاد والرابع الميلادي، ألا وهي مملكة مروي التي ما أن اعتراها الضعف والتدهور بعد القرن الثاني الميلادي حتى أخذ يتشكل

على رقعتها واقع جديد، جَرّاؤه فرض العنصر النوبي سيادته أثناء الحقبة التي عرفت في تاريخ السودان بالفترة ما بعد المروية (٣٥٠–٥٥٠م). ورافق ذلك انهيار كثير من نظم الثقافة المروية وبزوغ شمس نظم أخرى لم يدرك المختصون بعد كامل أبعادها بسبب شح المصادر التي يُعتمد عليها في تدوين مختلف ميادين تاريخ هذه الحقبة [Dafa' Alla, S.B. 1980؛ إدريس، محمد مهدي ٢٠٠٠]. وفي خواتيم الفترة ما بعد المروية تطورت المشيخات والدويلات التي نشأت قبلاً فكونت ثلاث ممالك مستقلة برزت إلى حيز الوجود مطلع القرن السادس الميلادي تقريباً، وهي من الشمال إلى الجنوب: نوباتيا وعاصمتها فرص، وامتد نفوذها في الشمال مغطياً المنطقة التي تقع جنوبي الشلال الأول حتى منطقة عكاشة أعلى الشلال الثاني جنوباً، ثم المقرة وعاصمتها دنقلة (دنقلا العجوز) وبسطت سيطرتها على المنطقة التي تقع مباشرة إلى الجنوب من حدود نوباتيا حتى منطقة الأبواب جنوبي أبو حمد، وأخيراً مملكة علوة وعاصمتها سوبا، وتشمل إقليم الأبواب في الشمال ثم تمتد جنوباً إلى مناطق غير مدركة على نحو أكيد على النيلين الأبيض والأزرق وما بينهما. أما عن حدودها في الشرق فيشير ابن حوقل بوضوح إلى أن منطقة القاش وكسلا ضمنها، كانت خاضعة لملك علوة [ابن حوقل، أبو القاسم محمد ١٩٧٢، ٧٤]. وإذا جاز لنا أن نؤوّل ما أورده ابن حوقل عن أن أمة تعرف بالجبليين موطنها غربي النيل الأبيض هي ذاتها التي ينتمي إليها الرجل الذي حاوره الأسواني في بلاط ملك المقرة. وكان موطنه يبعد عن النيل مسافة ثلاثة أهلة. يمكننا الزعم بأن بعضاً من أهل دارفور كانوا تابعين لملك المقرة [نفسه ٧٥؛ الأسواني، محمد بن سليم ١٩٧٢، ١٠٤]. كانت هذه الممالك الثلاث قد اعتنقت المسيحية في منتصف القرن السادس تقريباً.

يرجِّح بعض العلماء أن نوباتيا والمقرة اتحدتا في وقت ما بين (٦٥٠– ٧٠٠ م) مما أدى لتكوين مملكة النوبة، وبهذه التسمية اشتهرت في المصادر العربية، كما

أطلقت عليها أيضاً اسم المقرة، وبقيت عاصمتها في دنقلة [Jakobielski, S. 1972, 35]. إذن بلاد النوبة في العصور الوسطى كانت وطناً لجماعات عرقية عديدة ليسوا بالضرورة أسلاف نوبيي اليوم وحدهم [الدمشقي، شمس الدين ١٩٧٢، ٢٣٦].

تقع هذه المساحة الشاسعة في الإقليم المداري الذي تتفاوت فيه درجات الرطوبة النسبية ومعدلات الأمطار من منطقة لأخرى، ففي الجزء الشمالي – أي شمال خط عرض ١٧ش/ ١٨ ش – حيث الأراضي الرملية الجرداء، يسود مناخ صحراوي جاف شديد الحرارة صيفاً، تتجاوز فيه الحرارة ٤٥ درجة في أحيان كثيرة. وفي هذه المنطقة أيضاً تهب الرياح من الشمال إلى الجنوب معظم أيام السنة، مما أدى إلى أن تنخفض درجة الرطوبة النسبية لأقل من ١٠٪ ومن ثم تندر الأمطار. وإلى الجنوب من تلك المنطقة يتدرج المناخ من شبه الصحراوي إلى أن نبلغ مناطق السافنا الغنية في الجزء الجنوبي من السودان ثم المناخ الاستوائي، وهذا يعني ازدياد معدلات الأمطار كلما اتجهنا جنوباً [سعودي، محمد عبد الغني ١٩٨٥، ٧٧–٩١]. وتتميز بلاد النوبة بظاهرة طبيعية لافتة للنظر، هي نهر النيل وروافده، إذ يوفر هذا النهر البيئة الوحيدة الصالحة لممارسة حياة طبيعية للإنسان والحيوان على حد سواء في أقصى الجزء الشمالي حيث يمسك المحل والجدب بتلابيب الطبيعة. إن السمات المناخية والبيئية الموصوفة من قبل جعلت ابن خلدون يدرج بلاد النوبة في الجزء الرابع من الإقليم الأول وفقاً لتقسيمه المعمورة ضمن أقاليم جغرافية [ابن خلدون،عبد الرحمن، د.ت، ٦١] (انظر الخريطة).

لم تحو مصادر تاريخ النوبة المسيحية في الفترة المبكرة – بين القرنين السادس والثامن– معلومات ذات بال عن البيئة والغذاء في هذا الإقليم باستثناء ما ورد ضمناً عند يوحنا الافسيسي عن مكابدة الأسقف يوليان حر النوبة السفلى وقت الصيف ومحاولته ومن معه اتقائها بالبقاء في النهر معظم ساعات النهار؛ اضافة إلى الوصف

الذي يدل على قسوة بيئة المنطقة القفر الممتدة إلى الشرق من النيل بين الشلالين الثاني والخامس– وهي المنطقة التي تعرف الآن بصحراء العتمور وتخومها الجبلية في الشرق– وقد ورد ذلك في وصفه رحلة الأسقف لونجينوس إلى علوة، مبيّناً ما عاناه الركب جراء تربص قوات ملك المقرة بتلك البعثة التي كانت تسعى لبلوغ سوبا وتنصير ملكها على مذهب الطبيعة الواحدة (Monophysite)، وهو مذهب أهل نوباتيا خصوم ملك المقرة الذي كان من أتباع المذهب الملكاني [John of Ephesus 1975, 11 - 14].

حدثت طفرة معلوماتية في هذا الخصوص عندما صار المؤرخون والجغرافيون المسلمون يهتمون بأمر النوبة بعد أن تسنى للمسلمين فتح مصر جارة النوبة من الشمال في ٦٣٩م، لكن كرَّس هؤلاء الكتَّاب جل اهتمامهم في القرنين الثامن والتاسع لإثبات أخبار الوقائع الحربية التي جرت بين المسلمين – سادة مصر – والنوبة، وما نتج عن تلك الحروب من توقيع اتفاق بين الطرفين في ٦٥٢م عرف باسم البقط [Hasan, Y.F. 1973, 17 - 30]. واهتم الجغرافيون على نحو خاص – مثل الخوارزمي – بخبر النيل ومنابعه [Al-Khuwarezmi 1975, 51 - 3]. وتفرد وسط كتَّاب تلك الفترة الأديب الجاحظ (٧٧٦–٨٦٩م) باهتمامه بصنف من الكائنات الحية في بلاد النوبة بحديثه عن الزرافة التي عدها أحد الوحوش التي تنفرد بوجودها النوبة عن غيرها من البلدان. ورغم طرافة ما ذهبت إليه ثقافة عصره عن أصلها بالقول إنها نتاج تلاقح النمر والناقة أو فحول شتى أو لتزاوج الجمل وأنثي الفهد، فهو يشير إلى أن البلاد تميزت ببيئة مشبعة تكثر فيها الضواري والوحوش مثل الفهود والأسود والزراف، إلى جانب الحيوانات الداجنة مثل الأبقار والجمال التي ترد جميعاً النيل عند اشتداد القيظ صيفاً. وأورد أيضاً أن أهل النوبة والأحباش كان يكثر بينهم داء الطحال لأنهم يشربون ماءاً كدراً ملوثاً من النيل. وكانوا يتداوون منه باستعمال

سن فرس النهر، كما كانوا يتطببون من بعض الأدواء التي تلحق بالعقل عن طريق استعمال عفج (أمعاء) ذات الحيوان [الجاحظ، عمرو بن بحر ١٩٩٢، ٦٠٨].

وردت أيضاً شذرات قليلة عن بيئة النوبة الطبيعية عند اليعقوبي (كتب بين عامي ٨٧٢-٨٩٧م)، فيما ذكر عن وجود الحيوانات الوحشية كالفيل والكركدن (وحيد القرن) بإقليم الجزيرة الذي يتبع لعلوة، وأشار ذات المؤرخ إلى أن مقرة بلاد نخل وكرم وزرع. أما عن البيئة النباتية في علوة فلم يذكر شيئاً، مكتفياً باشارة مقتضبة عن اتساع المملكة وتعدد روافد النيل فيها. ويعتبر اليعقوبي أول من حدد المكان الصحيح لابتداء النيل، وهو عند منطقة علوة (سوبا) [اليعقوبي، أحمد ١٩٧٢، ١٨-٢١].

حفلت المصادر العربية أيضاً باشارات لبعض الجنادل ووعورة تضاريس منطقة بطن الحجر، وهذا ليس بالشيء الغريب لأن بعضاً من أولئك المؤرخين والجغرافيين الذين أفردوا حيزاً لأخبار النوبة قد زاروا تلك البلاد وكانوا على دراية ببيئتها وتضاريسها. فالأسواني على سبيل المثال ذكر أن منطقة بطن الحجر ضيقة شظفة يفوق أعلاها أسفلها اتساعاً، مع تأكيده على ظاهرة علو شاطئيها، الأمر الذي يعوق النيل من ري أرضها وقت الفيضان، مما أسهم في تحديد أساليب الزراعة والخارطة النباتية والمحصولية في المنطقة؛ ففي شقها الأسفل كانت الغلبة لأشجار النخيل والمقل (الدوم)، أما أعلاها فقد عرف علاوة على ذلك زراعة الكرم. ولا تتجاوز مساحة المزارع في بطن الحجر الثلاثة أفدنة، وتزرع بواسطة الدواليب (المحاريث) التي تجرها الثيران. والقمح فيها قليل وأكثر زرعها من الشعير والسلت (الشيلم) شتاءً، أما في الصيف فتزرع بمحاصيل الدخن والذرة والجاروش والسمسم واللوبيا، بعد تطريتها بالزبل (الماروق) والتراب [الأسواني، محمد ابن سليم، المصدر السابق، ٩٢]. وقد وقفت الجنادل عائقاً أمام انسياب الملاحة.

قدم الأسواني وصفاً دقيقاً ومختصراً لتضاريس منطقة بطن الحجر ذاكراً أن المنطقة التي تقع جنوبي المقس الأعلى (قرية عكاشة) "جنادل كلها، وشر ناحية رأيتها لهم، لصعوبتها وضيقها ومشقة مسالكها. أما بحرها فجنادل وجبال معترضة منه، حتى أن النيل ينصب من شعاب، ويضيق في مواضع حتى يكون سعة ما بين الجانبين خمسين ذراعاً. وبرها مجاوب ضيقة، وجبال شاهقة، وطرقات ضيقة، حتى لا يمكن الراكب أن يصعد منها، والراجل الضعيف يعجز عن سلوكها، ورمال في غربها وشرقها" [نفسه، ٩٤].

إن بيئة النوبة السفلى (بلاد مريس) القاحلة كانت مصدراً لريح يعرف في مصر بالمريسي. فقد ذكر المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٦م) في "كتاب التنبيه والإشراف" أن الريح المذكورة تهب على صعيد مصر في كانون أول/ديسمبر- كيهك في القبطية- وتتصف ببرودة تقطع الغيوم وتصفي الهواء وتسبب الحمى ويقع الوباء بمصر إذا استمرت وقتاً طويلاً [المسعودي، أبو الحسن ١٩٧٢، ٤٦]. وليس بعيداً عن هذا السياق فقد ارتبط المناخ وحركة الرياح على وجه الخصوص، بظاهرة التصحر في الأنحاء الشمالية من مملكة النوبة منذ القدم، إذ أثبت الكشف الأثري أن بعض مواقع المستوطنات هناك – مثل أرمينا غرب ودبيرة غرب – هجرت لذات السبب [Welsby, D.A., 2002, 112].

تستمر الصورة في الاتضاح التدريجي لتقترب كثيراً من حد الكمال بالوقوف عند افادات ابن حوقل عن روافد النيل التي تنحدر من الهضبة الإثيوبية خاصة نهري أتمتي (الدندر) واور(الرهد)، كما تطرق إلى النيل الأبيض [هكذا] والتقائه برصيفه، وما بينهما من جزيرة شاسعة لم تكن حدودها مدركة في زمانه [ابن حوقل، أبو القاسم محمد ١٩٧٢، ٧٥؛ إدريس، محمد مهدي ٢٠٠٦]. إلى جانب ذلك ذكر الحوقلي "النهر المعروف بسنسابي (ونرجِّح أنه نهر أتبرا) الذي يفرع إلى النيل وأصله من ناحية

الحبشة" [ابن حوقل، أبو القاسم محمد، المصدر السابق، ٧٤]، وتطرق أيضاً إلى "النهر المعروف بالدجَن (القاش) يأتي من بلد الحبشة، فيقطع في أعمال دجَن (دلتا القاش) ومزارعها" [نفسه،٧٤]. وعن بيئة إقليم القاش ودلتاه أشار إلى احتوائها على قرى متصلة ذوات مياه وأشجار وزروع وأنعام، كما تطرق إلى باديتها حيث يمارس البدو رعي الإبل والبقر في المراعي التي تجود بها الأمطار الموسمية [نفسه،٧٤].

أما عن المناطق التي تتبع للمقرة في الغرب فقد أورد ابن حوقل أن أمة تعرف بالجبليين كانت خاضعة لتلك المملكة [نفسه، ٧٥]، والراجح لديَّ أن أولئك القوم في دارفور. وتفصل الجبليين من علوة مفازة عظيمة الرمال تؤلف جزءاً من بلد أمقل وهو ناحية (إقليم) كبيرة ذات قرى لا تحصى وأمم مختلفة يعرفون بالأحديين. ويبدو مما أورده هذا الرحالة أن أمقل تتمتع بشيء من الثراء لاحتواء أرضها على الذهب والتبر والحديد، كما تكثر فيها الجمال والخيل والبرازين (البغال) القصيرة [نفسه، ٧٥-٧٦]. ورغم أن مصادرنا صمتت عن الإدلاء بأية افادة في الجوانب الخاصة بالبيئة النباتية في هذا الاقليم إلا أن الأبعاد التي حددها الحوقلي له في قوله: "وبينهم وبين ملك علوة خمس مراحل: ثلاث منها مفاوز" [نفسه،٧٦] تجعلنا نستنتج أن الإقليم يشمل المنطقة التي تمتد غربي النيل حتى تخوم المنطقة الجبلية، إما في دار الريح بشمال كردفان حيث دار كاجا [Welsby, D.A., op. cit., 87]، أو الأجزاء الشرقية لمنطقة جبال النوبا. فبالنسبة للموضعين، تغطي الرمال أغلب المساحة التي تلي النهر غرباً، وهي بذلك أرضٌ محلٌ تتفتق بيئتها النباتية بالكاد عن شجيرات شوكية قصيرة متناثرة تتخللها نباتات موسمية هنا وهناك؛ وتشذ في هذا السياق أشجار التبلدي التي تمتاز بضخامة الحجم [ابن عبد السلام، شهاب الدين ١٩٧٢، ٤٠٦]، فهي تنمو في أرض القوز الرملية التي تجود فيها أيضاً زراعة بعض المحاصيل الغذائية والنقدية في الفصل المطير.

إن الصفات التي تتسم بها شجرة التبلدي جعلت أهل المنطقة يتخذونها – عبر القرون – صهاريج لحفظ الماء، "لأن أرضهم رملة تكشف الماء وآبارهم بعيدة الرشا" [نفسه، ٤٠٦]. ويجدر بنا التنويه إلى أن هذه المنطقة ما زالت موئلاً لأشجار السنط (acacia)، وعلى نحو خاص شجرة الهشاب التي تشكل المصدر الأول لأجود أنواع الصمغ الطبيعي في العالم. أما الأودية في أقصى الجزء الشمالي من كردفان فتؤلف أفضل الرقع المرعة خاصة في الفصل المطير، كما تهيئ مساحات صغيرة صالحة لزراعة الدخن والذرة، وهما غالب قوت أهل الإقليم. وتعد الأودية أيضاً مكاناً جيداً لرعي الإبل، كما توفر المرعى للأغنام في بعض أشهر السنة.

إن المعادن التي ذكرت آنفاً اشتَهرت بها منطقة جبال النوبة إبان العصور الوسطى وأثناء الحكم التركي المصري للسودان [شقير، نعوم،٢٠٠٧، ٢٥]. وحينما نضع في الحسبان الاشارات السالفة الخاصة بالجوانب الطبيعية والعمرانية لناحية أمقل، اضافة إلى ما ورد عند ابن ضيف الله بشأن نبوءة الشيخ إدريس ود الأرباب (١٥٠٨/٧–١٦٥٠م) عن أن الفور سيحكمون أنحاء من كردفان حتى المنطقة التي توجد فيها الكنيسة الرقطاء [ابن ضيف الله، محمد النور ١٩٩٢، ٦٣] – والتي ربما كانت قائمة في مركز الدلنج وفقاً ليوسف فضل حسن [نفسه ٦٣، هامش ١٤] الشيء الذي يوحي ببلوغ المسيحية تلك الجهات – يتعزز ميلنا للافترض بأن ناحية أمقل تمتد حتى منطقة جبال النوبا، لذلك فإن بيئتها الطبيعية وكائناتها الحية قد لا تختلف كثيراً عن ما هي عليه اليوم في أنحاء من إقليم كردفان، وكذلك الحال بالنسبة لمكونات الغذاء الرئيسة.

يلاحظ المتمعِّن في المصادر العربية التي تناولت أخبار النوبة في العصور الوسطى أن كثيراً منها درج على إثبات بعضٍ مما أورده من سلف في صدد المواضيع ذات الصلة بالبيئة الطبيعية والغذاء أو ما ينتج عندما يوظف الوطنيون الموارد النباتية

والحيوانية المتاحة في البلاد لصالحهم، وذلك ربما يدل على استمرار تلك الأوضاع لوقت طويل نسبياً دون تغير كبير. فالتداوي بسن وعفج فرس النهر، بالاضافة إلى أصل الزرافة وغيره من المواضيع، وردت أيضاً عند ابن الفقيه الهمذاني (ت٩٠٢م). وزاد هذا الكاتب إلى حصيلتنا المعرفية بشأن ثروات بيئة الإقليم النباتية عندما قال بوجود الأبنوس الأبيض الذي يستخدم في صناعة الأَسِرَّة [الهمذاني، ابن الفقيه ١٩٧٢، ٢٩].

احتضنت بيئة النوبة أصنافاً عديدة من الحيوانات الأليفة كالإبل والبقر والغنم والخيل والبرازين (البغال) [المسعودي، أبو الحسن ١٩٧٢ب، ٤٩]، وأسفر التنقيب الأثري في عدة مواقع تعود للحقبة المسيحية في هذه البلاد عن وجود كميات من عظام الخنزير [Adams, W. Y. 1977, 502]، وهذا يعد أبعد رصد لوجود الخنزير في السودان. إن مبرر إدخال هذا الحيوان لأجل الغذاء يمت بصلة لطقس أو تقليد مرتبط بالديانة المسيحية، الأمر الذي جعل المؤسسة الدينية – في نظري – تعنى بوجوده وإكثاره. من جانب آخر كان النوبة في العصر الكلاسيكي (بين القرنين العاشر والثاني عشر) يزرعون النخل والكرم والذرة والموز والحنطة، مستفيدين من مياه الأمطار في المناطق السهلية والري من النيل عن طريق الساقية في السهل الفيضي على الشاطئين؛ وفي هذا الصدد ذكر الأسواني زراعة الزيتون والقطن في منطقة سَقَلُوزَا (بلاد السكوت) التي تشابه إقليم المريس من حيث البيئة. وتطرق أيضاً إلى الجنادل الثالثة بقوله: "إنها أشد صعوبة لأن فيها جبلاً معترضاً من الشرق إلى الغرب في النيل. والماء ينصب من ثلاثة أبواب، وربما رجع إلى بابين عند انحساره، شديد الخرير عجيب المنظر، لتحدر الماء عليه من علو الجبل" [الأسواني، محمد ابن سليم، المصدر السابق، ٩٥].

تتسع الأرض المتاخمة للنهر على الضفتين إلى الجنوب من الشلال الثالث مكونةً حوضي السِليم ولَتّي في الضفة اليمنى، وهذه المنطقة كانت تؤلف ناحية (إقليم) بَقون. وهي تشكل أوسع رقعة أرض قابلة لتلبية احتياجات الإنسان من حيث متطلبات الاستقرار رآها الأسواني في مملكة النوبة. وقدر أن اتساع النيل فيها يبلغ مسيرة خمس مراحل (أيام) من الشرق إلى الغرب، تتخللها جزر تتسبب في تَفرُّع النيل الذي تغمر مياه فروعه الأراضي المنخفضة. وقد جرى إعمار هذه المنطقة بقرى مزدهرة تكثر فيها أبراج الحمام والمواشي والأنعام. ويرجع الفضل لناحية بَقون في تزويد العاصمة بمعظم احتياجاتها من مختلف أصناف الغذاء. علاوة على ذلك تكثر فيها طيور التغطيط والنوبي والببغ وغير ذلك من الطيور الجميلة. إن الميزات السابقة جعلت الناحية مكاناً مفضلاً لنزهة ملك النوبة، وقد حظي الأسواني بمرافقته في بعض الأوقات في ذلك المتنزه، فكان سيرهم في ظل شجر على الحافتين في الخلجان الضيقة. والنهر هنا مأهول بالتماسيح، التي يزعم بعض الأهلين أنها لا تضر، ما جعلهم يعبرون أكثر تلك الفروع سباحة [نفسه، ٩٦]. إن الوصف السابق لهذه البيئة النهرية يلفت الانتباه إلى الآجام التي توجد في الأراضي المنخفضة التي يغمرها الفيض على شاطئي النيل وروافده، فهي تحوي أنواعاً عديدة من الأشجار والنباتات التي يستفاد منها في أوجه مختلفة وتمثل في ذات الوقت موطناً مثالياً – دائماً أو مؤقتاً – لأصناف عديدة من الكائنات الحية.

تلي ذلك الإقليم ناحية سَفَدبَقل – والراجح لدينا أنها تمثل الإقليم الجنوبي لمملكة المقرة، وتمتد أكثر أرضها عبر حنيتي النيل [إدريس، محمد مهدي ٢٠٠٧، ١١٠–١٣٦]. وسَفَدبَقل "ناحية ضيقة شبيهة بأول بلادهم إلا أن فيها جزائر حسان. وفيها دون المرحلتين نحو ثلاثين قرية بالأبنية الحسان والكنائس والديارات والنخل الكثير والكروم والبساتين والزروع ومروج كبار، فيها إبل وجمال صهب مؤبلة

للنتاج" [الأسواني، محمد ابن سليم، المصدر السابق، ٩٦-٩٧]. ورسم الأسواني صورة موجزة دقيقة لهذا الإقليم في قوله: "وفي ذلك من القرى والضياع والجزائر والمواشي والنخل والشجر والمقل والزرع والكرم، أضعاف ما في الجانب الذي يلي أرض الإسلام. وفي هذه الأماكن جزائر عظام مسيرة أيام، فيها الجبال والوحوش والسباع، ومفاوز يخاف فيها العطش. والنيل ينعطف من هذه النواحي إلى مطلع الشمس وإلى مغربها مسيرة أيام، حتى يصير المصعد كالمنحدر" [نفسه،٩٧]. إن الوصف السابق الدال على كثافة الاستيطان يصدق بدرجة كبيرة على المنطقة التي تشمل جل المساحة المكونة لمحافظتي الدبة ومروي. وهذه المنطقة ماتزال من حيث العمران تمتاز بوجود قرى كثيرة على طول الشاطئين في الرقعة التي تكوّن في وقتنا الراهن ديار الجوابرة والبديرية والشايقية، حيث تتسع الضفاف نسبياً، الأمر الذي يسمح بممارسة الزراعة وتربية الأنعام. وهذه المنطقة تذخر حتى الآن بزراعة النخل والموالح وغير ذلك من أشجار الفواكه، جنباً إلى جنب مع المروج الخضراء التي تشكلها حقول الخضر والأعلاف.

أما النصف المكمل حيث مناطق الحامداب وأمري والمناصير – أي الرقعة المغمورة الآن تحت مياه بحيرة سد مروي – فأبرز ظاهرة طبيعية فيها هي الشلال الرابع. وفي هذه المنطقة التي تؤلف قطاع أبوحمد الجغرافي كثيراً ما تعترض الصخور مجري النهر، الأمر الذي أدى بدوره إلى تكون كثير من الجزر الصخرية التي تتفاوت في المساحة والحجم، من شاكلة الحامداب ومِروي وأمري الكبيرة وبِرتِي وشِرِي ومقرات، وتعتبر الجزيرة الأخيرة إحدى أكبر الجزر النيلية. تتصف طبيعة هذا القطاع بوعورة المسالك لانتشار الصخور والجبال على الضفتين والجزر، وتعد الأرض التي تشكل ظهير الضفتين امتداداً طبيعياً لتلك البيئة القاسية حيث تلي صحراء العتمور الضفة اليمنى، أما صحراء بيوضة فتمتد مباشرة بعد الضفة اليسرى وتندغم فيها عند بعض

المواضع التي تشكل جيوباً من التلال الصخرية. وهاتان الصحراوان دون ريب هما المفاوز التي عناها الأسواني في الاقتباس السابق [إدريس، محمد مهدي، مرجع سابق، ١١٠-١٣٦]. من ناحية أخرى أشار الأسواني إلى وجود الوحوش والسباع في هذا الجزء من إقليم سفدبقل، وليس مستبعداً أنه عنى الغزلان والأرانب والضباع والثعالب - فهي جميعاً مازالت تعيش في تخوم المنطقة، خاصة في بيوضة التي تخترقها وديان موسمية الجريان تنمو عندها أنواع محدودة من الشجيرات وبعض النباتات الموسمية التي لها قدرة على التكيف في تلك البيئات، وبذلك يتوفر الطعام لتلك العشبيات والمفترسات. كما تطرق ذات المورخ إلى وجود فرس النهر جنوبي أبوحمد [الأسواني، محمد ابن سليم، مصدر سابق، ٩٨].

يمثل النيل الظاهرة الطبيعية الأبرز في مملكة علوة أيضاً لذا اهتم به الأسواني، فذكر أنه يتألف من سبعة روافد أورد منها: نهر يأتي من ناحية الشرق كدر الماء يجف في الصيف حتى يسكن ماؤه. فإذا كان وقت الفيضان تدفق فيه الماء وزادت البرك التي فيه حتى يبلغ تدفقه الذروة فينحسر ثانية [نفسه، ٩٩]. ويطابق ذلك الوصف سلوك نهر أتبرا المعروف بسنسابي في صحائف ابن حوقل. وتطرق الأسواني أيضاً إلى النيلين الأبيض والأخضر (الأزرق)؛ فعن الأول لفت انتباهه شدة بياض مائه، أما الثاني فقال بأنه يأتي من الشرق وماؤه أقرب إلى الاخضرار، ورغم أن أسماكه لا تختلف عن أسماك رصيفه من حيث النوع إلّا أن طعمها مختلف. وفي صدد ملاحظته الأخيرة لا يزال هناك من يرى في أواسط السودان أن أسماك النيل الأزرق أطيب طعماً من أسماك رصيفه الأبيض لاختلاف الغذاء.

استطرد الأسواني بعد ذلك في الحديث عن الجزيرة الشاسعة التي توجد بين النهرين - وهي إقليم الجزيرة الحالي - وما يزرع فيها من ذرة تشكل غالب مئونة أهل المملكة، وأورد بعض الأساطير ذات الصلة بزراعة الذرة في تلك المنطقة. أما الأنهر

الأربعة الأخرى فجميعها يصب في النيل الأزرق [نفسه،١٠١؛ محمد خير، الحاج حمد ١٩٨٩، ٨٣-٩٥]، والراجح أنه عنى الدندر والرهد ووادين موسميين لا نعرف أياً منهما. ورغم كثافة المعلومات الدقيقة التي حفلت بها المصادر العربية في نواح عديدة تخص تاريخ وجغرافية السودان في تلك الفترة، إلّا أنها أخفقت في سبر غور الحد الجنوبي لإقليم الجزيرة ناهيك عن ما يليه جنوباً، ومن ثم لم تحو سوى اشارات جد قليلة يحيطها غموض كثيف، ربما خصت مجموعات بشرية وصور بيئية من إقليم جنوب السودان [الهمذاني، ابن الفقيه، المصدر السابق، ٣١].

إن الزيادة في تلك الأنهار توافق الفصل المطير في السودان لذلك شكلت مع الأمطار الغزيرة التي كانت تهطل في أرجاء مملكة علوة بأراضيها الخصبة، بيئة مواتية لممارسة الزراعة، الأمر الذي صير علوة في نظر المؤرخين العرب أخصب وأوسع من المقرة، والنخل والكرم فيها يسير، وأكثر حبوبهم الذرة البيضاء التي كانوا يصنعون منها خبزهم ومزرهم (المريسة). واللحم فيها كثير لكثرة المواشي والمروج الواسعة العظيمة السعة، حتى أن المرء لا يصل إلى جبل إلّا بعد أيام من المسير [نفسه،١٠٢]. وليس من شك في أن إقليم الجزيرة كان يمتاز بغطاء نباتي كثيف يتألف من مروج الحشائش البرية وأشجار مختلفة شكّلت موطناً مثالياً لكثير من الوحوش العشبية واللاحمة معاً. فالزراف والأسود والنمور والفيلة والغزلان التي ذكرت في تلك المصادر ما كان لها أن تعيش في بيئة جرداء أو قاحلة؛ فلا غرو أن البرك التي تنجم عن مياه الأمطار، إلى جانب الخيران الموسمية والأنهار الصغيرة، كانت تسهم جميعاً في تشكيل تفاصيل ومفردات تلك الصورة الطبيعية الأخاذة. إن إقليم الجزيرة مثل غيره من أقاليم النوبة اشتهر أيضاً بنمو أشجار السنط.

أما إقليم البطانة الذي حظي بأهمية عظيمة في الفترة المروية، لما كان يمتاز به من أمطار ومراع أهلته لاحتضان عدد من المراكز الدينية والادارية التي أسهمت

لوقت طويل في تقديم خدمات لقطاع كبير من السكان الريفيين والبدو [Elkhazien, Abdelgadr 1996 -1997, 14 - 42]، يبدو أنه أخذ يفقد تلك المكانة بالتدريج منذ الفترة المروية المتأخرة حتى غدا بلا أهمية في الفترة المسيحية، فلم نشهد له ذكراً عبر مسيرة تاريخ تلك الحقبة. على أن خفوت الصيت لا يعني تغيراً في النواحي البيئية، إذ ظل الإقليم يحافظ على غطائه النباتي والشجري مثل غيره من المناطق المدارية المعشوشبة حيث تعيش السباع والوحوش، واستمر على هذا المنوال حتى القرن التاسع عشر [الزاكي، عمر حاج ١٩٨٣، ١٣٣].

لعبت البيئة في بلاد النوبة دوراً حاسماً في الغذاء، فحيثما وجدت الجنادل كان هامش الأرض الصالحة للزراعة وتربية الحيوان محدوداً، لذلك كانت الأسماك تشكل أغلب قوت سكان بطن الحجر، إلى جانب استفادتهم من شحومها في الدهن. في الواقع ظل سكان المناطق النهرية في مختلف أرجاء البلاد يتخذون من السمك بمختلف أنواعه وهيئاته غذاءً، مع مراعاة تنوع الغذاء بتوفر البدائل. فإن ألقينا نظرة على وصفنا المتقدم لصورة قطاع دنقلا وأقاليم علوة حيث المقومات والموارد الطبيعية أكثر وفرة وتنوعاً، تحتشد المصادر العربية بمعلومات مفيدة عن أشجار الفواكه كالنخل والكرم والموز، بالاضافة إلى المحاصيل البستانية كاللوبيا والدخن والذرة البيضاء إلى جانب السمسم الذي يعصر منه الزيت. وفي ذات الوقت لم ترد سوى اشارات محدودة للقمح والشعير باعتبارهما محاصيل في بعض أقاليم المقرة وعلوة، وهذا بدوره يدل على أن أكثر اعتمادهم انحصر في الذرة لأنها تصلح طعاماً وشراباً (المزر).

كانت الطيور من شاكلة الحمام والدجاج تدخل أيضاً في غذاء أهل البلاد. وكان لوفرة المواشي في علوة أكبر الأثر في جعل الأسواني يبدو كأنه مندهشاً لكثرة اللحوم فيها. ويستعمل أهل النوبة اللحوم طرية ومقددة (شرموط) ومطحونة، يطبخونها

بألبان النوق [الإدريسي، أبو عبد الله محمد ١٩٧٢، ١٢٩]. كما كانوا يقتاتون على لحوم الطرائد مثل الغزلان والأرانب وغيرها مما يؤكل من حيوانات البرية [ابن عبد السلام، شهاب الدين، المصدر السابق، ٤٠٦].

كان السلجم والبصل والفجل والقثاء (ربما قصد به العجور أو التبش) والبطيخ أيضاً ضمن المواد الغذائية التي تجود بها مزارع النوبة [نفسه،١٢٩]. وفي ظل هذا التنوع ووفرة عناصر الغذاء يتوقع المرء مائدة عامرة بأصناف الطعام لكنّا نجد العكس من ذلك فيما أورده العمري بقوله: "إن أفخر أطبختهم ما يعمل باللوبيا في مرق اللحم، ويثرد ويصب اللحم واللوبيا على وجه الثريد. وتعمل اللوبيا بورقها وعرقها" [العمري، ابن فضل الله ١٩٧٢، ٢٤٤]. ويعد في حكم المؤكد أن خبز الذرة المعروف في السودان بالكسرة كان بمثابة العمود الفقري لموائد النوبة آنذاك، فقد عثر على الدوكة (الصاج) – وهي أداة مسطحة من الخزف تصنع عليها الكسرة – في كثير من المواقع السكنية [Welsby, D. A., op. cit., 186]. كما عثر على أحجار الرحى– التي تستخدم لطحن الحبوب الغذائية – في بعض المواقع أيضاً مثلما في دير الغزالي(*). ورغم أن بعض الكتاب العرب قاموا برحلات في أرجاء البلاد إلا أننا لم نعثر بين طيات صحائفهم على أية معلومة تبين نوع الزاد الذي كانوا يطعمونه في ترحالهم، ولما كانت مصادرنا الأخرى لا تفيد أيضاً في هذا الخصوص ليس مستبعداً عندي أن بعض أنواع الطعام التي كانت تتخذ زاداً في الأسفار وعرفت عند النوبيين وغيرهم من أهل السودان في الفترات اللاحقة – مثل الآبري والقليّة والكابيدة [قاسم، عون الشريف، ١٩٨٥، ٣٠ ، ٩٢٨] – كانت موروثة من الفترة المسيحية، ويؤكد ذلك في نظري عدم وجودها ضمن أصناف الطعام المعروف لدى البجة والعرب – وهم أكثر الشعوب قرباً واتصالاً بالنوبة – في أو قبل ذلك الوقت.

يلاحظ المتصفح للمصادر العربية أيضاً أنها تخلو من أية اشارة لزراعة البامية في النوبة وقتذاك، وهذا لا يعني عندي عدم دخولها في طعامهم. فالبامية الطازجة والمقددة (الويكة) وأوراقها الغضة ظلت تشكل حضوراً بارزاً في طعام غالب أهل السودان منذ وقت بعيد حتى الآن. ففي فترة دولة الفونج – وهي التي تلت ممالك النوبة المسيحية – شكلت البامية عنصراً رئيساً في الغذاء [ابن ضيف الله، محمد النور، المصدر السابق، ٣٣٨]، وكان الحال كذلك في سلطنة الفور [التونسي، محمد بن عمر ١٩٦٥م، ٢٨٤–٢٨٥]، وكذا في فترة الدولتين التركية والمهدية [شقير، نعوم، المرجع السابق، ٢٦٥]. ورغم أن مصادر تلك الفترة ضربت صفحاً عن ذكر الملوخية وغيرها من النباتات الورقية التي ما زالت تؤكل في هذه البلاد، ألا أنني أميل إلى كونها ضمن أطعمتهم، لحضورها الكثيف في المصادر اللاحقة، خاصة أن بعضها ينمو برياً في النطاق المطير، كما تجري زراعتها أيضاً على ضفاف النيل وروافده [نفسه،٢٦٥؛ التونسي، محمد بن عمر، المصدر السابق،٦١].

من ناحية أخرى كانت النوبة في ذلك الزمان تتلقى من مصر شحنات من العدس والخمور ضمن سلع بنود اتفاق البقط الموقَّع بين مصر ومملكة المقرة في ٦٥٢م (انظر خلاصة محتوى النصوص المختلفة لهذه الاتفاقية في [الياس، أحمد ١٩٩٠ /١٩٩١م،١١٣–١٢١]). وتؤكد الشواهد الأثرية في المقرة – متمثلة في أوعية الأمفورة الفخارية – استيراد كميات كبيرة من الخمور من مصر قبل القرن الثامن. فعند ذاك القرن أمر الخليفة العباسي المعتصم بالله (٢١٨–٢٢٧هـ/٨٣٣–٨٤٢م) بمنع مقايضة الخمر ضمن السلع التي يحصل عليها أهل النوبة بموجب ذلك الاتفاق. ويوافق ذلك التوقيت أيضاً تولي فرص مع غيرها من مراكز إنتاج الفخار المصنع عن طريق العجلة في المقرة، عبء إنتاج تلك الأواني وغيرها من أواني الخزف سداً للنقص الذي طرأ على ذلك النوع من الفخار [Adams, W. Y., op. cit., 446].

في الواقع تلفت المصادر العربية الانتباه بتواتر حديثها عن زراعة الكرم في النوبة في تلك الحقبة من العصور الوسطى. فالراجح لدينا أن سبب اهتمام النوبة بزراعة الكرم يرجع لرغبتهم في توفير نبيذ الطقوس الكنسية، إذا ما وضعنا في الحسبان وجود كادر من مسيحيي منطقة حوض البحر المتوسط أدى بعض المهام للكنيسة النوبية [Jakobielski, S. 1972]، بالاضافة إلى موقف حكومة مصر من تزويد النوبة بالنبيذ، كما جرى في عهد المعتصم. ولم تشهد بلاد النوبة اهتماماً بزراعة الكرم بعد أن طويت صفحة المسيحية في السودان الشمالي. وأسفر الكشف الأثري في سوبا عن بقايا بذور العنب والتين ونوى التمر، جنباً إلى جنب مع حبوب الذرة والدخن والشعير والقمح، علاوة على بقايا بعض الأعشاب والأشجار مثل الأبنوس الذي ينمو الآن في المناطق الأوفر مطراً إلى الجنوب بعيداً عن سوبا. إن العثور على تلك البقايا النباتية دليل قاطع على ما طرأ من تغير مناخي وبيئي على منطقة الخرطوم [Lawrence, T. 1991, 267 - 73]. وفي ذات السياق يمكننا أيضاً أن نتخذ وجود بقايا العاج في سوبا وغيرها من مواقع النوبة المسيحية دليلاً آخر على صدق ما ورد في كثير من المصادر العربية من حديث عن الحيوانات المتوحشة، والفيل على وجه الخصوص، في البلاد [Allason-Jones, L. 1991, 143; Shinnie, P.L] و [Shinnie, M. 1978, 80 &].

مما تقدم يتضح أن البيئة في بلاد النوبة المسيحية لم تكن تختلف كثيراً عما كانت عليه البيئة في السودان الشمالي قبل أن ينقض عليه الجفاف في النصف الأول من ثمانينات القرن الماضي. فالشريط النيلي بطبغرافيته التي تختلف من منطقة لأخرى كان ولايزال المكان الوحيد الذي تتوفر فيه شروط العمران إلى الشمال من الخرطوم حيث البيئة فقيرة وصحراوية، مع التأكيد على التطورات التي طرأت على البيئة الطبيعية لإقليم الجزيرة منذ أن شرع المستعمرون البريطانيون في إنفاذ سياسة

تحويله إلى مزرعة كبيرة لإنتاج القطن في القرن الماضي، إلى جانب التصحر الذي ضرب المنطقة المحيطة بالخرطوم نتيجة للرعي الكثيف منذ دخول العرب السودان. وتبعاً لذلك لم يعد للوحوش – خاصة الضواري – مكان فيه. وظلت الأنعام والطيور الداجنة والأسماك وأنواع مختلفة من النباتات الطبيعية إلى جانب الحبوب الغذائية والخضر والفاكهة تشكل العناصر الرئيسة للغذاء عبر الحقب التالية، دون تغير يذكر. وفي حقل الزراعة ظل الدولاب الذي تجره الثيران يعمل جنباً إلى جنب مع المحراث الآلي في بعض أرجاء البلاد، وكذلك الحال بالنسبة لتطرية الأرض بالزبل في ظل وجود الأسمدة الكيماوية، بينما اختفت الساقية وأفسحت المجال للطلمبات الآلية لتتولى مهمة الري منذ ستينات القرن الماضي.

(×) تحوي المنطقة السكنية في تخوم دير الغزالي آثار أساس لبعض المنازل التي لم تخضع للتنقيب الذي أجراه ب. ل. شيني و ن. هـ. تشتيك في الدير عام (١٩٥٣–١٩٥٤م) [Shinne, P. L. & Chittick, N. 1961, 22]. ويلفت النظر في سطح أرض المنطقة السكنية مجموعة أحجار الرحى التي تعرض بعضها لتآكل شديد جراء كثافة الاستعمال. (زار الكاتب هذا الموقع لآخر مرة في معية الأستاذ الدكتور علي أحمد قسم السيد الذي أشرف على الرحلة العلمية لطلاب المستويين الثالث والخامس بقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الخرطوم في الفترة من ١٨–٢٨ فبراير ٢٠٠٩م).

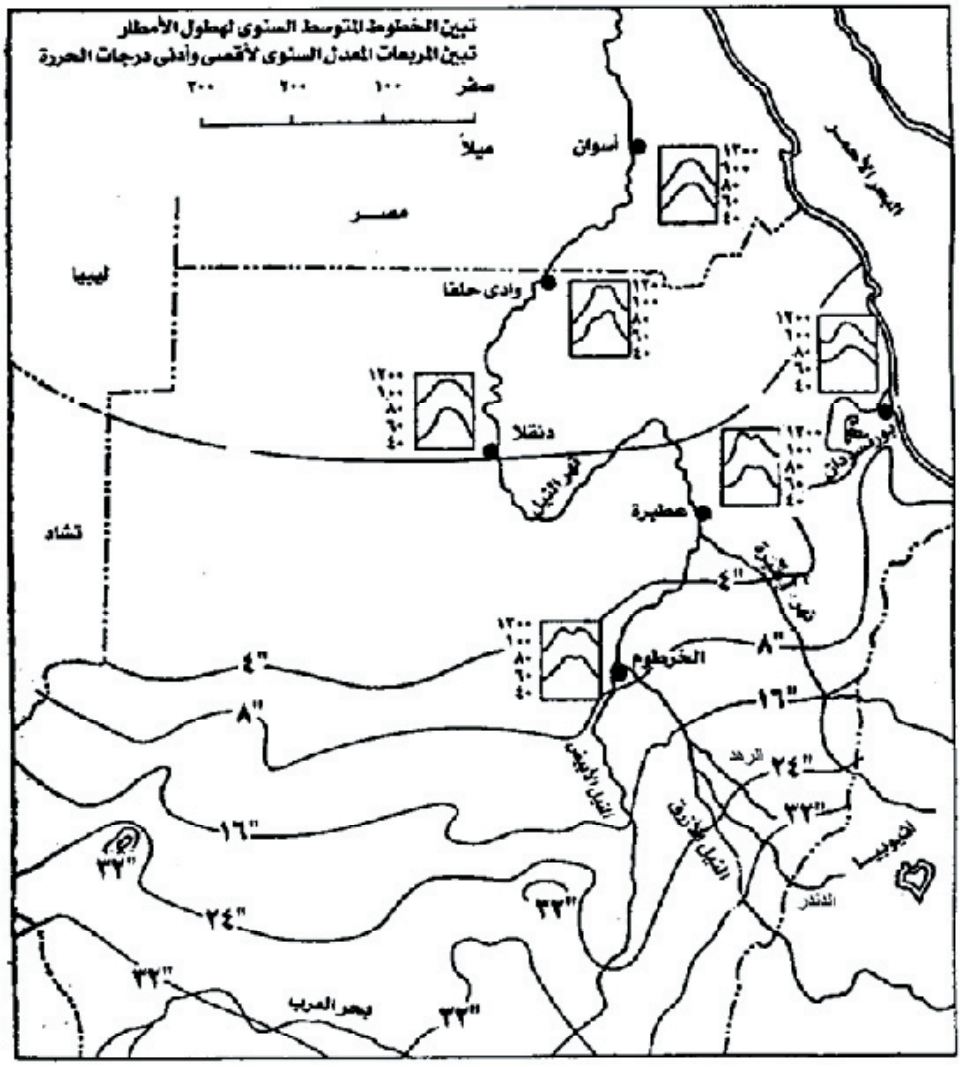

خريطة

المناخ في النوبة ووسط السودان

(عن Adams,W.Y.: 1977:31)

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر والمراجع العربية:-

١- ابن حوقل، أبو القاسم، "كتاب صورة الأرض"، في مسعد، مصطفى محمد، المكتبة السودانية العربية، ط١، مطبوعات جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٦٢-٧٦.

٢- ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٣- ابن ضيف الله، محمد النور، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والعلماء والشعراء في السودان، (حققه وعلق عليه وقدم له يوسف فضل حسن)، ط ٤، دار التأليف والترجمة والنشر- جامعة الخرطوم، الخرطوم، ١٩٩٢م.

٤- ابن عبد السلام، شهاب الدين، "الفيض المديد في أخبار النيل السعيد"، في مسعد، مصطفى محمد، أعلاه، ص ٣٩٣-٤٠٧.

٥- إدريس، محمد مهدي، البنيات الاجتماعية والثقافية في حضارة فترة ما بعد مروي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٠م.

٦- ----------، "منطقة النيل الأزرق في المصادر العربية ٨٥٠-١٥٠٠م"، ورقة قيد النشر قدمت في الندوة العلمية المقامة على شرف الاحتفال بمرور خمسمائة عام على قيام السلطنة الزرقاء وعشر سنوات على قيام جامعة النيل الأزرق ٢٥-٢٧ أبريل ٢٠٠٦م.

٧- ----------، "منطقة الشلال الرابع في الفترة المسيحية ٥٥٠-١٣٥٠م"، مجلة دراسات حوض النيل، العدد العاشر المجلد الخامس، الخرطوم، سبتمبر٢٠٠٧م، ص١١٠-١٣٦.

٨- الأسواني، عبد الله بن أحمد بن سليم، "كتاب أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل"، في مسعد، مصطفى محمد، أعلاه، ص٩١-١١٤.

٩- الإدريسي، أبوعبد الله، "صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس"، في مسعد، مصطفى محمد، أعلاه، ص١٢٤-١٣٥.

١٠- التونسي، محمد بن عمر، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، (حققه وكتب حواشيه عساكر، خليل محمود ومسعد، مصطفى محمد)، القاهرة، ١٩٦٥م.

١١- الجاحظ، (أبو عثمان) عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، (شرح وتحقيق يحيى الشامي)، بيروت، ١٩٩٢م.

١٢- الدمشقي، شمس الدين، "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر"، في مسعد، مصطفى محمد، أعلاه، ص ٢٣٦-٢٣٧.

١٣- الزاكي، عمر حاج، الإله آمون في مملكة مروي، بحث رقم ٥، مطبوعات كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، الخرطوم، ١٩٨٣م.

١٤- العمري، ابن فضل الله، "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، في مسعد، مصطفى محمد ، أعلاه، ص٢٤١-٢٤٦.

١٥- المسعودي، أبو الحسن، "كتاب التنبيه والإشراف"، في مسعد، مصطفى محمد، أعلاه، ص ٤٥-٤٨.

١٦- ----------، "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، ج ٢، في مسعد، مصطفى محمد، أعلاه (ب)، ص ٤٩-٥٠.

١٧- الهمذاني، ابن الفقيه، "مختصر كتاب البلدان"، في مسعد، مصطفى محمد، أعلاه، ص ٢٨-٣٢.

١٨- إلياس، أحمد، "صلح عبد الله بن أبي سرح مع مملكة نوباتيا"، مجلة حروف، العدد (٢-٣) مزدوج، السنة الأولى، الخرطوم ديسمبر/مارس ١٩٩٠/١٩٩١م، ص ١١٣-١٢١.

١٩- اليعقوبي، أحمد ،"تاريخ اليعقوبي"، في مسعد، مصطفى محمد، أعلاه، ص ٢٠-٢٤.

٢٠- سعودي، محمد عبد الغني، السودان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م.

٢١- شقير، نعوم، جغرافية وتاريخ السودان، (تقديم فدوى عبد الرحمن علي طه)، دار

عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، ٢٠٠٧م.

٢٢- قاسم، عون الشريف، قاموس اللهجة العامية في السودان، ط ٢، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥.

٢٣- محمد خير، الحاج حمد، "ابن سليم الأسواني وكتاب أخبار النوبة"، مجلة الدراسات السودانية، العدد١-٢، مزدوج، المجلد التاسع، الخرطوم، ديسمبر١٩٨٩م، ص ٨٣-٩٥.

٢٤- مسعد، مصطفى محمد، المكتبة السودانية العربية، ط١، مطبوعات جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٢م.

ثانياً: المصادر والمراجع بلغات غير العربية:

1- Adams, W.Y., *Nubia Corridor to Africa*, London, 1977.

2- Al-Khuwarezmi, Abu Ja'far, "Surat al-Ard", in Vantini, G., *Oriental Sources Concerning Nubia*, Warsaw, 1975, pp. 50-52.

3- Allason-Jones, L. "Small objects from the western end of mound B", in Welsby, D.A. & Daniels, C.M., *Soba: Archaeological Research at a Medieval Capital on the Blue Nile*, 1991, p.143.

4- Dafa' Alla, S.B., Political and Social Development in Northern Nubia during the Post-Meroitic Period. A.D.290-580, unpublished Ph.D. dissertation, University of Cambridge,1980.

5-Elkhazien, Abdelgadir, Agriculture and Pastoralism in Meroetic Economy, unpublished M. A. thesis, Leuven, 1996-1997.

6- Hasan, Y. F., *The Arabs and the Sudan*, Khartoum, 1973.

7- Jakobielski, S., *A History of the Bishopric of Pachoras*, Warsaw, 1972.

8- John of Ephesus, *The Ecclesiastical History*, Book IV, Oxford, 1862, iv Vantini, G.1975, pp. 6-26.

9- Lawrence, T., "Results of the wood identification" in Welsby, D.A. & Danniels, C.M., op. cit., pp. 267-273.

10- Shinne, P. L. & Chittick, N., Ghazali-a Monastery in the Northern Sudan, Sudan Antiquities Service Occasional Papers 5, Khartoum, 1961.

11- Shinnie, P. L. & Shinnie M., Debeira West, London, 1978.

12- Vantini, G., *Oriental Sources Concerning Nubia*, Warsaw, 1975.

13- Welsby, D. A., *The Medieval Kingdoms of Nubia*, London, 2002.

14- Welsby, D.A. & Daniels, C. M., *Soba: Archaeological Research at a Medieval Capital on the Blue Nile*, London, 1991.